"المختلف" في الفكر الإسلامي

مقاربة تاريخية تحليليّة في موقف ابن تيمية من المختلف الديني القريب والبعيد

إعداد

رائد محمد رفيق السمهوري

رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول الدين ومقارنة الأديان

قسم أصول الدين ومقارنة الأديان

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

٢٠٢١م

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف موقف الفكر الإسلامي من المختلف الديني القريب (أي المسلم الذي لا ينتمي إلى أهل السنة في المذهب الاعتقادي)، والمختلف الديني البعيد (أي الخارج عن الإسلام). وتتّخذ من العالِم أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م – ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) نموذجًا لبيان هذا الموقف، في العصر الإسلامي الوسيط، في زمن المماليك، ونزاعهم مع الفرنجة والتتار والإسماعيلية وغيرهم. إشكالية البحث هي تعدد القراءات السلفية وغير السلفية لابن تيمية. ولهذا تتناول هذه الدراسة مواقف ابن تيمية النظرية والعملية، تجاه المختلفين دينيًا، باعتماد المنهج التاريخي والتحليلي ومنهج البحث النوعي القائم على جمع الأحداث التاريخية والنصوص وتحليلها. تسلط هذه الدراسة الضوء على تلك الأسباب الموضوعية وراء اتخاذه تلك المواقف، وتقارن الدراسة بين مواقف ابن تيمية النظرية والعملية، وتنتقد بعض مواقفه، كما تنتقد بعض القراءات المعاصرة له. تجادل الدراسة في أن القراءة التاريخية والسياقية هي المنهج الأمثل لفهم مواقف ابن تيمية المثيرة للجدل، وتذهب إلى أن القراءة "اللاتاريخية" لآرائه وفتاواه، تؤدّي إلى خلْق صورة "متخيَّلة" غير واقعية لابن تيمية، كما هو السائد في قراءة السلفية الجهادية، وغيرها. تستنتج الدراسة أن مواقف ابن تيمية كانت مقيّدة ومتأثرة بأحداث سياسية واجتماعية في عصره، وأن حكمه على المختلفين دينيًا، كان، أيضًا، مقيّدًا ومتأثرًا بتلك الأحداث، وأن آراءه كانت تتبدّل بحسب اختلاف الأحوال، كما تستنتج الدراسة أن مواقف ابن تيمية لا يمكن فهمها على وجهها الأدق إلا بمعرفة أسبابها التاريخية، وأنها كانت تتفاوت بين اللين والشدّة بحسب السياق والظروف. وأن ابن تيمية أشدُّ "تركيبًا" مما يراه أتباعه وخصومه معًا، وأن ما أطلقه على أنه "إجماع" للسلف الصالح هو في بعض الآراء إجماعٌ متخيَّل، وأن القراءة اللاتاريخية لابن تيمية تصنع أيضًا، ابن تيمية متخيَّلًا. والخلاصة التي تقدّمها الدراسة أن القراءة التاريخية لآراء ابن تيمية تحلُّ مشكلة ما يبدو متناقضًا في آرائه تجاه المختلفين دينيًا، داخل دائرة الإسلام (المختلف القريب)، وخارجه (المختلف البعيد).

ABSTRACT

This study examines the position of Islamic thought on Muslims who are non-Sunnis and the non-Muslims who live in Muslim societies. It considers the scholar Ahmad Ibn ‘Abd al-Halim Ibn ‘Abd al-Salam Ibn Taymiyyah al-Harrani (661 AH/ 1263 AD - 728 AH/ 1327 AD) as a case to illustrate this position, in the medieval Islamic era, during the era of the Mamluks and their conflict with the Franks, Tatars, Ismailis, and others. The research problem hinges upon the multiplicity of Salafi and non-Salafi readings of Ibn Taymiyyah. Therefore, this study researches Ibn Taymiyyah's theoretical and practical positions toward the religiously different, by adopting the historical and analytical approach, and by a qualitative research method based on collecting and analyzing historical events and texts. The study argues that historical and contextual reading is the best approach for understanding Ibn Taymiyyah’s controversial positions and argues that the “non-historical” reading of his views and fatwas leads to the creation of an unrealistic “imagined” image of Ibn Taymiyyah, as is the case in the reading of Salafi-jihadism, and others. This study concludes that Ibn Taymiyyah's positions were restricted and affected by political and social events in his era, and that his judgment on the religiously different was, too, restricted and influenced by those events, and that his views were changing according to different circumstances. This study also concludes that Ibn Taymiyya's positions can only be understood most accurately by knowing their historical causes, and that they varied between softness and intensity according to the context and circumstances; and that Ibn Taymiyyah is more “compositional” than what his followers and opponents see together, and that what he called the “consensus” of the righteous ancestry is in some opinions an imaginary consensus, and that the non-historical reading of Ibn Taymiyyah also makes Ibn Taymiyyah imaginary. Finally, the main conclusion of this study is that the historical reading of Ibn Taymiyyah’s views and positions solves the problem of what appears to be contradictory in his views towards those who are religiously different from the Sunnis and toward those outside of Islam altogether.

APPROVAL PAGE

The thesis of Raed Alsamhoury has been approved by the following:

_____
Prof. Dr. Abdul Salam Muhamad Shukri
Supervisor

_____
Prof. Dr. Thameem Ushama
Internal Examiner

_____
Prof. Dr. Engku Ahmad Zaki Engku Alwi
External Examiner

_____
Assoc. Prof. Akram M Z M Khedher
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Raed Alsamhoury

Signature: …….…… Date: ……..……

الجامعة الإسلامية العالمية–ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٠م محفوظة لـ: رائد السمهوري

"المختلف" في الفكر الإسلامي: مقاربة تاريخية تحليلية لموقف ابن تيمية من المختلف دينيًا القريب والبعيد

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١. يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
٢. يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
٣. يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.
٤. سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.
٥. سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: رائد السمهوري

التوقيع: ..... التاريخ: .....

إلى المرحوم سيدي الوالد محمد رفيق حسن السمهوري، الذي كان، لو لم تتخطفه يد الموت، سيفرح بشيء حققه ابنه. رحمه الله تعالى.

وإلى السيدة الوالدة شكرية حسن عوض صدقة، التي لا تفتأ تدعو لي، وببركة دعائها أحيا، أطال الله بقاءها ورزقني برّها.

وإلى الزوجة الكريمة السيدة آيو أزهري التي هيأت لي من الهدوء والطمأنينة، ما كان مساعدًا لي على إتمام هذا البحث، جزاها الله عني خير الجزاء.

وإلى كل من ساعدني وأعانني ودعا لي.

أهدي هذا الجهد المتواضع.

الشكر والتقدير

اللهم لك الحمد، وفّقت ويسّرت وأنعمت وأكرمت وسترت وحفظت، ابتداءً منك وفضلًا وجودًا، على غير استحقاق منّي، بل أنا المفرّط المقصّر، فأنَّ أشكرك، سبحانك، لا أحصي ثناءً عليك.

اللهم صلّ على النبي الأكرم الذي لولاه ما كان ابن تيمية، ولا كان فكر إسلامي، ولا كانت حضارة بلغت المشرق والمغرب، فصلّ اللهم عليه بمقدار كمالك وفضلك ورحمتك.

ثم الشكر للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، التي أتاحت لي فرصة الدراسة بإشراف أساتذة كرام، وبصحبة زملاء فضلاء.

أخصّ منهم بالذكر مشرفي على هذه الدراسة الدكتور عبد السلام شكري الذي تعاون معي متّسع الصدر لكل سؤال، في ليل أو نهار، بكل مودّة وترحاب وحسن خلُق.

والشكر موصول للجنة المناقشة التي تفضلت مشكورة بقبول هذا البحث وتحكميه وإسداء الملاحظات القيّمة حوله.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة التصريح ..... هـ

صفحة الإقرار ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

فهرس محتويات البحث ..... ط

الفصل الأول: المدخل إلى البحث ١

إشكالية البحث ٥

أسئلة البحث ٥

أهداف البحث ٦

أهمية البحث ٦

حدود البحث ومجالاتُه ٧

منهج البحث ٨

الدراسات السابقة ١٠

خطة البحث ١٦

الفصل الثاني: مفهوم "المختلِف" في الفكر الإسلامي، والسياق التاريخي لابن تيمية ٢٠

مقدّمة ٢٠

المبحث الأول ٢٠
المطلب الأول: مفهوم "المختلف"، بيان وتفصيل ٢١
المطلب الثاني: الفكر الإسلامي والمقصود به ٢٣
المطلب الثالث: موقف الشريعة الإسلامية من المختلف الديني: نظرة موجزة
..... ٢٧
المبحث الثاني: ابن تيمية الحرّاني، الرجل والسياق التاريخي ٥٨
المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته ٥٩
المطلب الثاني: مولده ووطنه ٦١
المطلب الثالث: شيوخه وطلبه للعلم ٦٤
المطلب الرابع: صفاته الشخصية ٦٥
المطلب الخامس: مراحل حياته وأهم الأحداث التي عاصرها ٦٧
النتائج ١١٥

الفصل الثالث: المختلف القريب في زمن ابن تيمية وموقفه منه ١١٧
مقدّمة ١١٧
السياق التاريخي العام ١١٧

المبحث الأوّل: أبرز طوائف المختلف الديني القريب في زمن ابن تيمية: التاريخ والاعتقادات ١٢١
المطلب الأوّل: الأشاعرة: التاريخ وأبرز الاعتقادات ١٢٤
المطلب الثاني: الصوفية: التاريخ وأبرز الاعتقادات ١٤٨
المطلب الثالث: الشيعة الاثنا عشرية: التاريخ وأبرز الاعتقادات ١٧١
المبحث الثاني: موقف ابن تيمية من المختلف الديني القريب ١٩٦
المطلب الأوّل: موقف ابن تيمية النظري في التعامل مع المختلف القريب .. ١٩٦
المطلب الثاني: موقف ابن تيمية العملي في التعامل مع المختلف القريب .. ٢٣٨

النتائج..... ٢٧١

الفصل الرابع: المختلف البعيد وموقف ابن تيمية منه ٢٧٣

المبحث الأول: طوائف المختلف الديني البعيد في زمن ابن تيمية: التاريخ والاعتقادات ٢٧٤

المطلب الأول: النصارى بين أهل الإسلام: التاريخ وأبرز الاعتقادات..... ٢٨١

المطلب الثاني: الفلاسفة ومن على نهجهم: التاريخ وأبرز الاعتقادات..... ٣٠٤

المبحث الثاني: موقف ابن تيمية من المختلف البعيد..... ٣٣١

المطلب الأول: منهج ابن تيمية النظري في التعامل مع المختلف البعيد... ٣٢٣

المطلب الثاني: موقف ابن تيمية العملي في التعامل مع المختلف البعيد.... ٣٨١

النتائج: ٣٩٤

الفصل الخامس: نماذج لقراءات "لاتاريخية" معاصرة في فكر ابن تيمية عرض ونقد. ٣٩٦

مقدمة..... ٣٩٦

المبحث الأول: ابن تيمية في قراءة السلفية الجهادية ٣٩٨

المطلب الأوّل: قراءة محمد عبد السلام فرج، وكتيّبه "الفريضة الغائبة" ٣٩٨

المطلب الثاني: قراءة أبي مصعب السوري ٤٠٨

المبحث الثاني: ابن تيمية في قراءات "لا تاريخية" أخرى لباحثين وأكاديميين.... ٤١٣

المطلب الأول: قراءة بسام فرج في كتابه "الفكر السياسي عند ابن تيمية" ٤١٤

المطلب الثاني: قراءة الشيخ عبد العزيز الطريفي ٤١٦

المطلب الثالث: قراءة أبي يعرب المرزوقي في كتابه "إصلاح العقل العربي: من واقعية أرسطو وأفلاطون إلى اسمية ابن تيمية وابن خلدون" ٤١٧

المطلب الرابع: قراءة عائض الدوسري في كتابه "هكذا تحدث ابن تيمية". ٤١٩

المطلب الخامس: قراءة رائد السمهوري في كتابه "نقد الخطاب السلفي" ..٤٢٠
النتائج.....٤٢١

الخاتمة.....٤٢٣
أولًا: الاستنتاجات.....٤٢٣
ثانيًا: توصيات ٤٢٨

المصادر والمراجع.....٤٣١
العربية ٤٣١
الأجنبية ٤٧٢

الفصل الأول
المدخل إلى البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام سيّدنا محمد النبي الأميّ الأمين، وعلى آله والصحابة والتابعين، وعلى الآمرين بالقسط من الناس، أما بعد:

فإن مسألة "المختلِف" دينيًا، وكيفية التعامل معه مطروحةٌ بشدّة في زمان الناس هذا – بل لا بدّ من طرحها – ولا سيّما في العالم العربي، حيث يعلو صوت الطائفية والتفرقة في بعض البلدان العربية، ما بين سنّي وشيعيّ (كما في السعودية وإيران والعراق ولبنان)، وفي أحيان أخرى، ما بين أشعري وسلفي، فضلًا عن كيف يتعامل المسلم مع غير المسلم، إلى غير ذلك من مستويات "المختلف" وتصنيفاته، دينيًا، ومذهبيًا.

لا يخفى أن العالم العربي حافلٌ بالتنوّع والتعدّد؛ ففي أرجائه تنتشر طوائف مختلفة، منها ما ينتمي إلى الإسلام، ومنها ما لا ينتمي إليه؛ ففي العالم العربي، مثلًا، سنّة (ماتريدية،

وأشاعرة[١]، وسلفيون[٢])، وشيعة (اثنا عشرية[٣]، وإسماعيلية[٤]، وزيدية[٥])، وإباضية[٦]، وغير ذلك. وفيه مسيحيون ويهود ويزيديون[٧]، وطوائف أخرى. وكل تلك الطوائف موجودة منذ مئات السنين، ولنشوئها وظهورها أوضاع وأحوال وسياقات تاريخية واجتماعيّة، أدّت إلى ذلك. وكان لتلك الطوائف أثر ضعيف أو قويّ عبر التاريخ الإسلامي الطويل، بل قامت لبعض تلك الطوائف دول قويّة، ساهمت عميقًا في حدوث صراعات أثّرت في التراث الكلامي والفقهي.

---

[١] الماتريدية طائفة من أهل السنة والجماعة، تنتسب إلى الإمام أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، وكان من كبار علماء الكلام، وأما الأشاعرة: فأعظم طوائف أهل السنة والجماعة وأوسعها انتشارًا، تنتسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، قال طاش كبري زاده: "اعلم أن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان: أحدهما حنفي، والآخر شافعي، أما الحنفي فهو أبو منصور الماتريدي [...] وأما الشافعي فهو أبو الحسن الأشعري". ينظر: طاش كبري زاده، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٥)، ج ٢، ص ١٣٣-١٣٤.

[٢] السلفيون: طائفة من أهل السنة تنتسب إلى "السلف الصالح"، وتعود في كثير من تأصيلاتها واحتجاجها إلى أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ). لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الله البخاري، **ما هي السلفية؟** (القاهرة: دار الاستقامة، ط ١، ٢٠١٢).

[٣] الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: هي الطائفة الأكثر عددًا في الشيعة اليوم، تقول باثني عشر إمامًا معصومًا، وتتبرأ من معظم الصحابة، للمزيد في معرفة عقائدها ينظر: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: عرض ونقد** (الرياض: نشرة المؤلف، ط ٢، ١٩٩٤).

[٤] الإسماعيلية: طائفة تعد من غلاة الشيعة، تقول بسبعة أئمة معصومين، ويشتركون مع الشيعة الاثني عشرية في البراءة من معظم الصحابة، للمزيد ينظر: سليمان عبد الله السلومي، **أصول الإسماعيلية: دراسة–تحليل–نقد** (الرياض: دار الفضيلة، ط ١، ٢٠٠١)

[٥] الزيدية: طائفة من الشيعة، منسوبة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لا تتبرأ من معظم الصحابة، وتقول بالأصول الخمسة الاعتزالية المعروفة، وتعتقد أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة، مع عدم البراءة من الشيخين أبي بكر وعمر، للمزيد ينظر: ماجد بن علي بن أحمد الحكمي، "الزيدية: أصولهم وتاريخهم وعقائدهم"، **مجلة الجامعة العراقية**، الجزء ٣، العدد ٤٤ (٢٠١٩).

[٦] الإباضية: فرقة معدودة في الخوارج، نسبة إلى عبد الله بن إباض، تتفق مع المعتزلة في بعض الأصول، للمزيد ينظر: صابر طعيمة، **الإباضية عقيدة ومذهبًا** (بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٨٦).

[٧] اليزيديون: طائفة ليست معدودة في دائرة الإسلام، تقول بتناسخ الأرواح، ينظر: أحمد تيمور باشا، **اليزيدية ومنشأ نحلتهم** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط ١، ٢٠١٢).

ولمّا كانت الشعوب العربية والإسلامية على العموم شعوبًا ذات نزوع ديني محافظ؛ تقدّر العلماء، وتستفتيهم في كثير من الأمور؛ كان للمذاهب وأقوال الفقهاء – قديمًا وحديثًا – قبول في قلوب عامّة الناس – فضلًا عن طلّاب العلم والخطباء والدعاة وشيوخ العلم – وتأثير يوجّه تفكيرهم وسلوكهم في العلاقة بالمختلف قربًا وبعدًا، ومحبة وبغضًا. ولا أدلّ على هذا من انتشار البرامج الدينية كبرامج الفتاوى وغيرها، ورواجها رواجًا واسعًا في القنوات الفضائية، وفي الصحف السيّارة، والقنوات "الطائفية" المتخصصة، التي تسعى لنشر مذاهبها، ونقض المذاهب التي تخالفها، برفق أو بعنف، والتي يتابعها ملايين الناس ويتأثرون بها.

تعتمد تلك الخطابات الدينيّة التي تؤثر في الناس، على أقوال الأئمة السابقين، والأعلام الماضين وفتاواهم، غافلةً عن السياقات التاريخية التي وردت فيها تلك الآراء وتلك الفتاوى، وعن الأوضاع الاجتماعية التي صدرت فيها، وعن النزاعات التي ساهمت في إنتاجها.

ومن أهمّ الأعلام الكبار الذين لا يزال لهم حضورهم القويّ، والتأثير البالغ في واقعنا المعاصر؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، والملقّب بـ "شيخ الإسلام"، والذي تعود إليه الحركات الإسلاميّة "السنيّة" عمومًا، والحركات الجهادية خصوصًا، إضافة إلى كثير من الفقهاء والعلماء التقليديين، يستلهمون أقواله، ويعودون إليها، ويستشهدون بها ويستدلّون، وعن آرائه في فتاواهم يصدرون، غافلين عن "راهنيّة" ابن تيمية في زمانه، وتأثره في كثير من أحكامه على الآخرين بأحوال عصره، وسياقه السياسي والاجتماعي.

مرّت البلاد العربية بما يسمّى مرحلة "الصحوة الإسلامية"، مرورًا بحرب أفغانستان، وما تلاها من أحداث سياسية مدوية، وما نتج عنها من تيارات إسلامية مختلفة، توالدت وتكاثرت حتى هذه الأيام، وكان لها حضور قوي في أفغانستان، ثم العراق، والصومال، وسوريّة، وليبيا، ومصر، والسعودية (بطبيعة الحال). ليس هذا فقط، بل إن دولة كالمملكة العربية السعودية، تتبنّى الفكر السلفي بنسخته الوهّابية. وكل تلك التيارات ترجع في فكرها الديني إلى ابن تيميّة، وتفسّره بطريقتها الخاصة. وتختلف فيما بينها إلى درجة التكفير المتبادل في بعض الأحيان.

تعتمد كل تلك التيّارات فتاوى ابن تيمية ضد الآخر المختلف، سواء أكان هذا المختلف قريبًا (أي داخل دائرة الإسلام كالأشاعرة والشيعة والمعتزلة)، أو خارج دائرة الإسلام (كاليهود والنصارى). ويتنازع أتباع ابن تيمية في فهم كلامه، ولا سيّما أن من فتاواه ما يوحي بالتناقض،

فنجده تارة يصف بعض الشيعة بأنهم "أكفر من اليهود والنصارى"، فيقول مثلًا: "وأما عصمة الأئمة فلم يقل بها إلا كما قال الإمامية والإسماعيلية. وناهيك بقول لم يوافقهم عليه إلا الملاحدة المنافقون، الذين شيوخهم الكبار أكفر من اليهود والنصارى والمشركين. وهذا دأب الرافضة دائمًا يتجاوزون عن جماعة المسلمين إلى اليهود والنصارى والمشركين في الأقوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك"[٨]. وهذا كلام يوحي، إن لم يصرّح، بالتكفير.

لكننا نجده يقول كلامًا مناقضًا لهذا في موضع آخر فيقول: "كل من كان مؤمنًا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو خير من كل من كفر به؛ وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم؛ فإن اليهود والنصارى كفار، كفرًا معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام. والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول صلى الله عليه وسلم لا مخالف له لم يكن كافرًا به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم"[٩].

تعمَد التيارات المتعارضة والتي تنتسب إلى ابن تيمية إلى "الانتقاء"، فتختلف فيما بينها، ولكنّها لا تنظر في الأسباب السياسيّة التي أدّت إلى هذا الذي يبدو تناقضًا.

وأولئك الفرقاء كلهم يتخذون مواقف من المخالفين من الأشاعرة والمعتزلة والشيعة بطوائفهم (وهم الذين أضع لهم اسم: المختلِف القريب)، فضلًا عن اليهود والنصارى وغيرهم (المختلِف البعيد). وكلهم "يستشهد"، و"يستدل" بابن تيمية، و"ينتقي" من كلامه ما يشاء، من دون قراءة ابن تيمية في ظروف عصره لفهم هذا الذي يبدو تناقضًا في كلامه.

ولأني من بلاد العرب، أو ما يسمّى "الشرق الأوسط"، ولأني عشت وأعيش أحداث تلك البلاد، وأدرك ما يسببه الاختلاف في فهم ابن تيمية من مشكلات؛ اجتمعت همّتي على أن أقدّم أطروحةً تهدف إلى استجلاء موقف ابن تيمية، لكن بالنظر إلى ظروفه التاريخية والاجتماعية والسياسيّة؛ لحل هذا الإشكال، فلا أهتمّ بذكر منهجه مع المختلف مجردًا من

---

[٨] تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٩٨٦)، ج ٣، ص ٣٧٤.

[٩] تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني، **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٧)، ج ٣، ص ٥١٦.

تاريخه وظروفه وسياقاته (وهو خطأ كبير ومن أسباب سوء الفهم)، بل أقدّم له بالأسباب والظروف والسياقات التي جعلته يقف هذه المواقف، وهي، بحسب علمي المتواضع، كانت تتبدّل على وفق الظروف السياسية والاجتماعية، ذلك أن الفكر الإنساني لا ينتج خارج الزمان والمكان والظروف والأحوال، ولا يمكننا فهمُه من دون دراسة الظروف والبيئة السياسية والاجتماعية التي نتج فيها، من حيث إن حركة الفكر، لا تنأى عن حركة التاريخ، ولا تنفصل عنه.

إشكالية البحث

تكمن إشكالية البحث في اختلاف "أتباع" ابن تيمية في تفسيره، فتجد كثيرًا منهم يعتمدون "الانتقاء"، فبعضهم يتجاهل ما ذكره ابن تيمية، مثلًا، من أن الرافضة "فيهم خلق مسلمون ظاهرًا وباطنًا"[١٠]، ويصرّ على أن ابن تيمية يكفّر الرافضة جميعًا بأعيانهم اعتمادًا على أقوال أخرى، سبق ذكر بعضها.

وأيضًا نجد الخلاف في تفسير ابن تيمية وفهمه يبلغ عند أتباع ابن تيمية أنفسهم حدّ التفسيق والتبديع، فنجد مثلًا بعض السلفيين يبدّعون ويفسّقون كل من ينتقد وليّ الأمر، ويعدّون ذلك خروجًا على الحاكم، بينما يخالفهم السلفيون الجهاديون، ويرون وجوب الخروج بالسلاح على الحكّام الذين لا يطبّقون الشريعة. وكلا الفريقين "ينتقي" من كلام ابن تيمية ما يوافقه، حتى كأن هناك أكثر من ابن تيمية واحد. أو كأن هناك عدة نُسَخ من ابن تيمية، مما يسبّب الحيرة.

أسئلة البحث

هذه إشكالية البحث التي يهدف إلى حلّها، ولم يجد الباحث خيرًا من إعمال المنهج التاريخي لفهم هذا التناقض.

ومن هنا، يهتم البحث بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

---

[١٠] ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، ج ٢، ص ٤٥٢.

١. من هو المختلف القريب في فكر ابن تيمية؟ وكيف تعامل ابن تيمية معه نظريًا وعمليًا؟
٢. من المختلف البعيد في فكر ابن تيمية؟ وكيف تعامل مع ابن تيمية معه نظريًا وعمليًا؟
٣. ما السياق التاريخي والظروف الاجتماعية والسياسية لاتخاذ ابن تيمية مواقف متباينة بين الشدة واللين تجاه المختلف القريب والبعيد؟
٤. ما نتائج القراءة "اللاتاريخية" لأفكار ابن تيمية، وما آثارها؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

١. بيان المعنى المقصود بـ "المختلِف" الديني القريب في فكر ابن تيمية، وبيان موقفه منه نظريًا وعمليًا.
٢. بيان المعنى المقصود بـ "المختلف" الديني البعيد في فكر ابن تيمية، وبيان موقفه منه نظريًا وعمليًا.
٣. إيضاح السياق التاريخي والظروف الاجتماعية التي فيها أطلق ابنُ تيمية آراءه تجاه المختلفين دينيًا.
٤. إثبات أهميّة القراءة التاريخية لابن تيمية، والمقارنة بينها وبين القراءة "اللاتاريخية"، في الآثار والنتائج.

أهمية البحث

يُعدّ ابن تيميّة شخصية إشكاليّة – أو هكذا يبدو – يستند إلى أقواله المعتدلون والمتطرفون معًا. وكلهم "ينتقي" من أقوال ابن تيمية ما يؤيد وجهة نظره، وما يدعم به نهجَه واختياراته، من دون النظر إلى سياق عصره، وما أدّى به إلى أن يقول هذا القول، ويذهب إلى ذلك الرأي.

وهنا تبدو أهميّة هذا البحث؛ إذ تفتقر المكتبة العربية، على حدّ علمي، إلى الدراسات التي تعالج أفكار ابن تيمية وآراءه في إطار تاريخي، اجتماعي وسياسي، أي في محاولة "فهم ابن تيمية" بعيدًا عن التأطر بالمذهبية والطائفية، وبعيدًا عن الردود القائمة على اختلاف الفرق والطوائف، وثقافة الردود، وإخراج أقواله من سياقاتها السياسية والاجتماعية. أي إن المكتبة العربية في حاجة إلى "نظرة جديدة" تستلهم المنهج التاريخي في دراسة ابن تيمية؛ فما عالجه ابن تيمية من آراء كان مقيدًا بعصره، مرتبطًا بسياقه، ولا بدّ لفهم أقواله حق الفهم من النظر إلى زمان ابن تيمية، وما جرى فيه من صراعات سياسية واجتماعية، كانت دافعًا إلى أن يكتب مؤلفاته الكثيرة.

بعبارة أخرى؛ ينال البحث أهميّته من مقدار حاجتنا إلى "تحرير ابن تيمية" من عصرنا –أو ربّما تحرير عصرنا منه– ووضعه في عصره وسياقه، من أجل مقاربةٍ أَدَقَّ لفهمه، ثم تجاوز ما ينبغي تجاوزه مما لا يصلح في زماننا من آرائه، فلكل زمانٍ مشكلاته الخاصة به، مع الحرص على الابتعاد عن الدخول في الردود الكلامية والعقائدية، فليس هذا ما يهم في هذه الدراسة، ولا سيما أن هذه الكتب تفيض عن الحاجة جدًا، ولا جديد فيها.

حدود البحث ومجالاته

يتحدد البحث بعدة محددات أوضحها في نقاط رئيسة فيما يأتي:

١. **الحدود التاريخية:** وأعني بها زمن المماليك، وتحديدًا من منتصف القرن السابع الهجري إلى نهاية الثلث الأول من القرن الثامن، أي في الفترة ٦٦١–٧٢٨هـ. وقبل هذا لا بدّ من ذكر الأسباب التاريخية التي أدّت إلى ظهور المماليك، وأن ذلك كان في سياق مرحلة "الإحياء السنّي"، ابتداءً من ظهور "المدارس" أيام السلاجقة على يد الوزير السلجوقي نظام الملك، وتدشين هذا المشروع بكتابَي أبي حامد الغزالي **"تهافت الفلاسفة"** و**"فضائح الباطنية"**، حتى ظهور ابن تيمية، وربما قبل ذلك؛ وذلك لأن تتبع تسلسل الأحداث في الماضي قد يفيد في معرفة ما آلت إليه في العصر المدروس.

٢. **الحدود المكانية:** وأعني بها المنطقة التي عاش فيها ابن تيمية وما حولها، وهي العراق والشام ومصر، حيث جرت له فيها أحداث ومحن، وشهدت فيها تنازعًا بين المماليك والتتار، وبين المماليك والصليبيينفي هذه الأجواء ظهر ابن تيمية وفكره.

٣. **الحدود المعرفيّة:** وأعني بها آراءه العقائدية والفقهية المتعلقة بالمختلفين دينيًا، سواء أكانوا داخل دائرة الإسلام (المختلف القريب)، أو كانوا خارج دائرة الإسلام (المختلف البعيد).

منهج البحث

١. يعتمد هذا البحث طريقة "البحث النوعي" الذي لا يقوم على الإحصاءات والأرقام، بل على جمع المعلومات والمواقف والأقوال والأحداث والنصوص ذات الشأن، وصفًا، وتركيبًا، وتحليلًا. ولهذا يعمد الباحث إلى جمع المعلومات "التاريخية" المتعلقة بالظروف السياسية والاجتماعية، في عصر المماليك وربما قبله بقليل؛ إذ يتوقع الباحث أن يعود إلى دراسة تاريخ العصر المملوكي، في صراعه مع "الصليبيين"، ومع "الإسماعيلية الباطنية"، ثم في صراعه مع "التتار الاثني عشرية". وسيرصد مرحلة "نهوض" أهل السنة، منذ أبي حامد الغزالي حتى عصر ابن تيمية، عبر نشوء "المدارس" السنّيّة التي كان هدفها في الأساس مواجهة الباطنية والصليبيين. بجمع الأخبار التاريخية من مظانّها، من كتب التاريخ وغيرها.

٢. يعود الباحث إلى كتب ابن تيمية نفسه، وإلى كتب معاصريه، ليجمع أقواله وآراءه في المخالفين من المسلمين وغير المسلمين، ويربطها بأحداث زمانها، وصراعاته السياسية، فلا يمكننا فهم آراء ابن تيمية في التتار مثلًا (وكانوا شيعة)، من دون أن نفهم الصراع الذي كان قائمًا ذلك الوقت بين الدولة "الإيلخانية" التتارية الشيعية، ودولة "المماليك" الأشعريّة السنيّة، وما كان بين الدولتين من حروب، حتى إن التتار هاجموا دمشق (بلد ابن تيمية)، وقتلوا الآلاف من الحنابلة في جبل

"الصالحيّة". وكذلك لا يمكننا أن نفهم موقف ابن تيمية من "النصيرية" من دون أن نفهم أنهم كانوا متعاونين مع التتار ضد المماليك[١١].

٣. بعد جمع الأقوال والآراء، وكذلك الأحداث التاريخية، يجمع الباحث القول إلى شبيهه، والموقف إلى نظيره للخروج بنظرية واضحة حول منهج ابن تيمية، وحول مواقفه. وأما ما كان متناقضًا من أقواله ومواقفه فينبّه الباحث إليه، ويبين ذلك، ثم يذكر رأيه الكلي، واستنتاجاته.

٤. يتوقع الباحث أن يستعين بعدة مناهج:

أ. **المنهج الاستقرائي**: والذي سيحتاجه الباحث لجمع آراء ابن تيمية في الموضوع المبحوث فيه، للخلوص إلى نتيجة كلية.

ب. **المنهج التاريخي**: وسيستخدمه الباحث في تسجيل الأحداث السياسية والاجتماعية التي كان له أثر في آرائه وتطورها، كما سيستخدمه في رصد تطورات آراء ابن تيمية واختلافها إن وجدت، بحسب الظروف السياسية والاجتماعية وغيرها.

ج. **المنهجي الوصفي**: وسيستعمله الباحث في وصف آراء ابن تيمية كما هي، وبوصف السياق التاريخي كما هو، على قدر الاستطاعة.

د. **المنهج التحليلي**: ويستفيد منه الباحث في فهم العلل والأسباب الموضوعية وراء آراء ابن تيمية، وفي شرح مواقفه وتفكيكها.

هـ. **المنهج التركيبي**: وسيشتغل به الباحث في ذكر لوازم الأقوال، وجمع القول إلى شبيهه، والرأي إلى نظريه، من أقوال ابن تيمية وآرائه، للخلوص إلى نتيجة.

و. **المنهج النقدي**: وسيستعمله الباحث في نقد أقوال ابن تيمية، وفي نقد أقوال قرائه، كما سيظهر في الفصل الخامس من البحث.

---

[١١] لمزيد من التوسع يرجى النظر في: رشيد الدين الهمذاني، **جامع التواريخ: تاريخ غازان خان**، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط ١، ٢٠٠٠).

الدراسات السابقة

على الرغم من كثرة المؤلفات عن ابن تيمية ومواقفه من المختلف الديني القريب (كالأشعرية والمعتزلة والشيعة وغيرهم)، والمختلف الديني البعيد (كاليهود والنصارى والفلاسفة وغيرهم)، فهناك فجوة علمية متمثلة بعدم وجود دراسة تتناول ذلك كله من خلال ربطه بالسياق التاريخي العام والخاص؛ فلم يجد الباحث –على قدر بحثه واجتهاده–، دراسات مختصة بالموضوع المبحوث فيه؛ أي دراسة آراء ابن تيمية في المختلفين دينيًا، وربطها بسياقها الزماني التاريخي. كان هذا من دوافع الباحث للاهتمام بهذا الجانب النادر، أو فلنقل: المعدوم، بحسب اطلاعي، في دراسة ابن تيمية.

ومع هذا فقد اطلع الباحث على بعض الدراسات التي ربما تكون لها علاقة بموضوع البحث، غير أنها تخلو، في الجملة من ربط آراء ابن تيمية بالسياق التاريخي في عصره. ومن ذلك، مثلًا، دراسة بعنوان "التسامح وقبول المختلف في الفكر الإسلامي"[١٢]، لفائز محمود اللهيبي، مخصصة للحديث عن "جذور التسامح" في القرآن والسنّة، وتقبّل "المختلِفين"، سواء أكانوا مختلفين في الأعراق أو الأجناس أو الألوان أو الأديان أو المذاهب أو القوميات ...إلخ.

والدراسة عبارة عن "تأصيل" لقبول المختلِف في الإسلام، على العموم، ولكنّها ليست عن ابن تيمية تخصيصًا، ولا عن مواقفه بالتفصيل.

كما أن هناك كتابًا عن "الفكر الإسلامي" عمومًا، وجده الباحث بعنوان "**تاريخ الفكر العربي والإسلامي**" لمؤلِّفه دومينيك أورفوا، وقد تطرّق فيه المؤلّف إلى مفهوم "الفكر العربي والإسلامي" على العموم، فعرّفه بأنه "الأفكار التي اتخذت حاملًا لتعبيرها اللغة العربية و/ أو عقيدة الإسلام، والاثنان مترابطان في معظم الأحيان"[١٣]. وهذا الكتاب، وإن كان يتكلم عن الفكر العربي الإسلامي وتاريخه على العموم، فهو ليس وثيق الصلة بهذه الدراسة.

---

[١٢] فائز محمود اللهيبي، "التسامح وقبول المختلِف في الفكر العربي الإسلامي"، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد ٩، العدد ٢ (٢٠٠٩)، ص ٤٧٤-٤٩٢.

[١٣] دومينيك أورفوا، **تاريخ الفكر العربي والإسلامي**، ترجمة: رندة بعث (بيروت: المكتبة الشرقية، ط ١، ٢٠١٠)، ص ٨-٩.

ما أكثر الدراسات التي تناولت ابن تيمية! ويصعب على الباحث إحصاؤها، غير أنه يلتفت إلى أهم الدراسات عنه، في ظنه، ومع هذا فليس هناك دراسة واحدة، بحسب تتبع الباحث واطلاعه، تناولت موقفه من "المختلف" بما هو مختلف، وما درجات الاختلاف، وكيف رتّبه ابن تيمية قربًا من "أهل السنة"، كما يفهم ذلك، وبعدًا، والأسباب التاريخية والسياقية والاجتماعية وراء ذلك. بل يلحظ الباحث، بحسب قراءاته المتواضعة، أن أبرز الدراسات المتاحة إنما تناولت موقفه "العقائدي التفصيلي" من المختلفين كالأشاعرة، والمعتزلة، والشيعة، والفلاسفة، والمرجئة، والصوفية، واليهود والنصارى، في سياق "الردود" العقائدية، من دون اعتناء بوضع الأفكار في تاريخها. أي إنها كتب عقائدية "تقليدية"، تعد امتدادًا لثقافة "الرد على المخالف" ببيان "عقيدة أهل السنة" وإظهار "ضلال الخصوم والمبتدعة"، أو بيان "كفر" اليهود والنصارى وانحرافهم. وعلى الرغم من أن كل تلك الدراسات مفيدة، لكنها ليست مخصصة لتحديد منهج ابن تيمية "الكلّي" مع المختلف عمومًا، ومواقفه الجزئية في ضوء عصره وظروفه. وليس النزاع العقائدي التفصيلي هو ما يعنينا في بحثنا.

نجد مثلًا دراسة الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود بعنوان "**موقف ابن تيمية من الأشاعرة**"[١٤]، والتي خصصها لموقف ابن تيمية من الأشاعرة تحديدًا، وجعلها لبيان موقفه التفصيلي من عقائد الأشاعرة دون غيرهم، أي إنه ينتمي إلى الدراسات "العقائدية"، من دون أن يبيّن الأسباب التاريخية والسياسية لمواقفه التفصيلية منهم. وقد أسّس في هذه الدراسة تمهيدًا لما سمّاه "السلف ومنهجهم في العقيدة"، أي إنه ينطلق أساسًا من افتراضه أن هناك عقيدة للسلف الصالح هي الحق، والأشاعرة، في الجملة، ليسوا على هذه العقيدة، أي إنهم منحرفون عنها، وسيأتي الكتاب بعد هذا التمهيد ليوضح مواطن "الخلل" في عقيدة الأشاعرة، ويتجلى هذا في الفصل الثاني والثالث والرابع من الباب الأول في هذا الكتاب. أما الباب الثاني والذي يعرض فيه موقف ابن تيمية من الأشاعرة، فيخصص الفصل الأوّل منه بالجوانب الإيجابية في عقيدة الأشاعرة، ويخصص الفصل الثاني في بيان منهج ابن تيمية العام في "الرد" على الأشاعرة،

[١٤] عبد الرحمن بن صالح المحمود، **موقف ابن تيمية من الأشاعرة** (الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ).

ويجعل الفصل الثالث للرد التفصيلي عليهم في عقائد الألوهية، والأسماء والصفات، وعلاقة العقل بالنقل، والإرجاء وغير ذلك.

ومن الرسائل مثلًا رسالة أحمد بن محمد بناني المعنونة بـ **"موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية"**[١٥]، وهي تتناول ما جرى بين ابن تيمية وطوائف الصوفية في عصره من مناقشات وردود، وتبيّن موقفه الاعتقادي منها، وهي أيضًا لا تخرج عن ثقافة "الردود". وأشير هنا كذلك إلى دراسة الدكتور مصطفى حلمي بعنوان **"ابن تيمية والتصوف"**[١٦]، والتي كانت للحديث عن موقف ابن تيمية من التصوف نفسه، ولكنها لم تكن مخصصة للجوانب التاريخية والسياقية.

ومن الدراسات كذلك دراسة بعنوان **"موقف ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة"**[١٧] للباحثة قدرية شهاب الدين، وهي كسابقاتها، مختصة بثقافة "الردود" التفصيلية على عقائد المعتزلة. وليست لبيان منهج ابن تيمية الكلي من "المختلف" عمومًا، وكيفية التعامل معه، فضلًا عن ربط ذلك بأسباب موضوعية تعود إلى التاريخ.

أما دراسة عبد الله بن إبراهيم الشمسان، وعنوانها **"موقف ابن تيمية من الرافضة"**[١٨]، فمخصصة لردود ابن تيمية على الرافضة، في عقائدهم في الألوهية، وفي موقفهم من الصحابة، وهي في إطار الردود بين أهل السنة والشيعة، وليس فيها ربط ذلك بسياق عصره وظروفه كما نتوخى في دراستنا.

---

[١٥] أحمد محمد بناني، **موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية** (جدة: دار العلم، ط ١، ١٩٨٦).

[١٦] مصطفى حلمي، **ابن تيمية والتصوف** (القاهرة: دار الدعوة، ط ١، ١٩٨٢).

[١٧] قدرية شهاب الدين، **موقف ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة**، أطروحة دكتوراه، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ.

[١٨] عبد الله بن إبراهيم الشمسان، **موقف ابن تيمية من الرافضة** (الرياض: دار الفضيلة، ط ١، ٢٠٠٤).